

تفسير أبي السعود

سورة النور 39 يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم ا تعالی أحسن ما عملوا أي أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف ويزيدهم من فضله أي يتفضل عليهم بأشياء لم توعدهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل إنما وعدت بطريق الإجمال في مثل قوله تعالی للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله A حكاية عنه D أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالی وا يرزق من يشاء بغير حساب فإنه تدبيل مقرر للزيادة وعد كريم بأنه تعالی يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو إجمالاً وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عن ذكر صفاتهم الجميلة كأنه قيل وا يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور في محض مشيئته تعالی لا أعمالهم المحكية كما أنها الماط لما سبق من الهداية لنوره تعالی لا لظاهر الأسباب ولإيذان بأنهم ممن شاء ا تعالی لأن يرزقهم كما أنهم ممن شاء ا تعالی أن يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من أعمالهم الحسنة فإن جميع مل ذكر من الذكر والتسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر وأهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن الكريم العظيم الذي هو المعنى بالنور وبه يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه وأجله وهذا وقد قيل قوله تعالی في بيوت الخ من تنمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هي صفة لمشكاة أي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وأن ما بعد قوله تعالی ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالی نور على نور على ما قيل إلى قوله تعالی بكل شيء عليم كلام متعلق بالمثل قطعاً فتوسطه بين أجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالأجنبي يؤدي إلى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستراط مع كون بيان حال أضدادهم مقصوداً بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلاً أن يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق إليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين كفروا أعمالهم أي أعمالهم التي هي من أبواب البر كصلة الأرحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع

الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الـآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري بقية متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أي كائن في قاع وهي الأرض المنبسطة